مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 27، العدد 3: 2019.
Journal of University of Babylon for Humanities, Vol.(27), No.(3): 2019.

تمثلات نسقية إستشراقية للسيرة النبوية الشريفة

زينب علي عبيد
قسم اللغة العربية / كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة بابل
Zainb.hub@gmail.com

ARTICLE INFO
Submission date: 15/3/2019
Acceptance date: 10/4/2019
Publication date: 3/3 /2020

المستخلص

تحتل الدراسات الاستشراقية حيزاً كبيراً في مجال الدراسات الإسلامية، لأهميتها وثقلها العلمي، بوصفها أحد الأمور المساهمة في تشكيل العقل الغربي، وتحديد موقفهم تجاه الشرق الإسلامي.

وقد اتخذت الأعمال الاستشراقية توجهين، الأول: التوجه السلبي يظهر التطرف وبث روح العداء ضد الإسلام ونبيه الكريم (ﷺ) والثاني يتسم ظاهره بالموضوعية والتجرد من روح العداوة إلا أن تتبع تجليات النصوص المعلنة تنبئ بأنساق خفية حاولت النصوص الأستشراقية إظهارها، ليتسنى لها التشكيك بأهم الحقائق الدينية وزعزعتها. لذا آثر البحث التنقيب عنها من خلال انتقاء نصوص لأخطر التوجهات الاستشراقية ومحاولة كشف الأنساق الثانوية فيها. لذا تقسم البحث إلى قسمين: أولاً: تحديد مفهوم الاستشراق وعرض أهم التعريفات التي توضح المفهوم اللغوي والاصطلاحي. ثانياً: النسق الاستشراقي والقرآن الكريم. وخاتمة وقائمة بالمصادر.

الكلمات الدالة: النسق، الاستشراق، السيرة النبوية الشريفة

An Orientalism Patterns Representations of the Noble Prophetic Career

Zainab Ali Obaid
Department of Arabic Language / College of Education for Human Sciences / University of Babylon

Abstract

Orientalist studies occupy a great place in the field of Islamic studies, because of their importance and scientific weight, as one of the things contributing to the formation of the Western mind, and determining their attitude towards the Islamic East.

The orientalist work has taken two directions. First, the negative orientation shows extremism and spreading the spirit of hostility against Islam and its noble prophet. The second is characterized by objectivity and impartiality. However, following the manifestations of the texts that are announced, they reveal hidden patterns that the Assyrian texts tried to show, And shook it. Therefore, the research sought to explore through the selection of texts to the most oriental oriental orientations and attempt to detect the secondary patterns in them. Therefore, the research is divided into: First: to define the concept of Orientalism and to present the most important definitions that explain the linguistic and theological concept. Second: Orientalism and the Holy Quran. Conclusion and list of sources.

Keywords: Layout, Orientalism, the noble Prophet's biography

by University of Babylon is licensed under a Journal of University of Babylon for Humanities (JUBH)
Creative Commons Attribution 4.0 International License

أولاً: تحديد مفهوم الاستشراق

1- **المفهوم اللغوي:** أن لفظة (استشراق) إنما هي مصدر الفعل (استشرق) واصله فعل ثلاثي (تستشرق) وهو من شَرَقَت الشمس تشرُق شروقاً وشرقاً أي ظهرت وطلع نورها أما أسم المكان المشرق و(الشرق) أي جهة شروقها (وشرِّقَ) أي توجه شرقاً[1].

2- **المفهوم الاصطلاحي:** من الواضح أن تعدد التعريفات وتباينها أدت إلى عدم الاطمئنان لتعريف واضح ومستقر فهو يشير "في مدلوله الأساسي أو المتداول إلى الاهتمام العلمي أو الأكاديمي الغربي بالثقافات الشرقية [...] بما يتضمنه ذلك الاهتمام من دراسة وتحقيق وترجمة"[2].

وقد أحتل الاستشراق حيزاً كبيراً في مجال الدراسات الإسلامية بوصفه أحد الأمور المساهمة في تشكيل العقل الغربي، لذا فقد وُصِفَ على أنه "ظاهرة غربية مهمة، ذلك أن الإسلام قد أحتك احتكاكاً مباشراً بحضارات شرقية عديدة هندية وصينية، لكن الحضارة الغربية وحدها هي التي أنتجت ظاهرة الاستشراق بمعنى أن يتخصص عدد كبير جداً من أبنائها في دراسة الإسلام–عقيدة وشريعة وحضارة وتأريخاً ولغة–"[3].

ومنهم من صنفه على انه "علم يدرس لغات الشرق وتراثهم"[4]، وهذا الاختلاف في فهم معنى الاستشراق جعل من الصعب ان نتصور التنوع الشديد في مباحث "الاستشراق" وطرقه ومناهجه وأساليبه، علاوة على أهدافه وأغراضه ومناحيه، مضافاً اليها جميعاً تحديد المفاهيم التي أشاعها سلباً وأيجاباً"[5]، وقد عُدَّ الاستشراق أحد وسائل دراسة الآخر[6]، الشرقي فقد كان في نشاته الأولى صادراً عن اغراض ودوافع دينية وتبشيرية كنسية، وقد اثر المستشرقون أعمق تأثير واضطره في صياغة التصورات الغربية عن الإسلام، وكانت لهم اليد الطولى في تشكيل موقف الغرب إزاء الإسلام والمسلمين[7]. الذي لابد من عزلهم وتمييزهم ليصبح من الممكن بناء (الانا) الغربي، وكل ما سواها تابع لها[8].

بالرغم من عدم استقرارية المفهوم إلا ان أغلب المشاريع الاستشراقية وُظِفَت لأجل تصوير الآخر العربي بشكل مُحَرّف، وجعل الإسلام كمعتقد تابعاً لا مؤسساً لفكر جديد، من خلال توجيه الاتهامات للرسول محمد (ﷺ) والقران الكريم وتوظيف المفاهيم الخاطئة والأفكار المنمطة، وجعلها تطفو على صفحات الاعلام عبر الدول الغربية.

ثانياً: النسق الاستشراقي وسيرة الرسول (ﷺ)

عرف الاستشراق تحولات ومنجزات في حقول المعرفة عامة، وفي حقل المعارف الإسلامية خاصة وأثبتت الظاهرة الاستشراقية فاعليتها وحضورها المعرفي والثقافي في أكثر البلدان الأوربية وكان القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة محط أنظار المستشرقين عموماً، لأنها الموجه والمحرك للفكر الإسلامي ومنبع الرؤيا للحضارة الإسلامية، والقرآن والنبي محمد (ﷺ) وجها الإسلام، فقد ظل أكثر المستشرقين يصفون القرآن بأنه تأليف النبي محمد (ﷺ)، وانه قائداً لأمة إسلامية أكثر مما كتب عنه بأنه نبي مرسل، وأعطي له الصبغة القيادية لانتزاع الصفة النبوية منه.

ويمكن تقسيم مراحل الاستشراق إلى مرحلتين الأولى هو مرحلة العصور الوسطى حيث اتخذ الاستشراق موقفاً عدائياً حاقداً وماكراً من السيرة النبوية الشريفة، القائمة على الصراع الديني والتكذيب والتهويل.

والمرحلة الثانية هي مرحلة العصر الحديث، اذ اتخذت طابعاً معتدلاً في ظاهرة لامتصاص غضب المتلقي فقد خَفّت حدة خطاباتهم واتخذت طابع آخر مغاير للطابع الأول لترسيخ أفكارهم بطريق مختلف.

إن معرفة الطريقة والكيفية التي بوساطتها تعاطى الاستشراق مع السيرة النبوية الشريفة، يتطلب تتبع تجليات وتصورات هذه المعرفة في أعمال أهم المستشرقين، وتحتاج هذه العملية إلى نقد هذه النصوص لإنكار ثباتية المعنى في منظومتها الفكرية والثقافية.

فقد تميزت شخصية الرسول الكريم (ﷺ) في نظر المستشرقين بمزايا عدة، كل حسب توجهاته، فمنهم من جعله مصلحاً اجتماعياً، وبعضهم وجده قائداً وزعيماً، فقد أكد (M.Wait) أن الصفات الشخصية للرسول محمد (ﷺ) هي إعانته على نشر الإسلام وهذه الصفات هي: موهبته كعراف أو كاهن، وحكمته السياسية ومهارته الإدارية.[9]

ويتصدر الرسول العظيم محمد (ﷺ) قائمة أعظم الرجال في العالم وهم مائة رجل صنفها المستشرق (مايكل هارت) الذي قال في مقدمة كلامه "ولقد اخترت محمداً (ﷺ) في أول هذه القائمة، ولابد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار، ومعهم حق في ذلك، لكن محمداً عليه السلام هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الديني والدنيوي"[10]. وهناك من صرح تصريحاً واضحاً على أن الرسول (ﷺ) إنما جاء بدين يتسم بانه مزيجاً أو تلفيقاً ثقافياً مستعاراً من ثقافات مختلفة سواء أكانت يهودية أم نصرانية أم يونانية أم فارسية إضافة إلى ثقافة بيئته الأصلية، ودور محمد (ﷺ) في هذا كله هو التجميع والتلفيق[11].

يحيلنا نص (هارت) إلى اشكاليتين الأولى: أنه لم يذكر في كتابه من الأنبياء سوى النبي محمد (ﷺ) وان جعله أعظمهم إلا أنه شكك بنبوته ودرجه مع عظماء العالم من قادة وعلماء والإشكالية الثانية هو اسم الكتاب حاول أن يرسخ فكرته ويسوقها للعرب قبل الغرب بان جعل اسم الكتاب (الخالدون مائة أعظمهم رسول الله (ﷺ)، فهي وسيلة لاقتناص الدلالة من خلال المدلول لأنه بعمله هذا يمرر انساق خفية أثارتها الإشكاليتان فهو من عظماء العالم بقيادته ونفوذه وعلمه إلا انه ليس بنبي مرسل.

وهناك من صرح تصريحاً واضحاً على أن الإسلام إنما هو عقلانية قصدية تهدف إلى انتصار بنى تشكيلية لسحب البساط منه (ﷺ) بوصفه نبي، خاصة إن عملية احتكار المعنى أحيلت إلى معنى آخر وهو الاهتمام بترجمة القرآن الكريم في أصلها اهتمام بمعرفة الرسول محمد (ﷺ). للقبض على معطيات ترتبط بحياة الرسول وبسيرته، بوصف القرآن كتاب من تأليف الرسول محمد لا كتاب الهي منزل وانه من المتعذر بل من المستحيل أن يتحرروا من عواطفهم ونزعاتهم المختلفة[12]. في التاريخ لسيرة الرسول محمد (ﷺ).

إن القراءة الاستشراقية للنصوص تقتضي إلى إعادة قراءتها وتفسير بينيتها في ضوء سياقات ثقافية توجب استجوابها عبر منظومة المرجعيات الثقافية السائدة عن سيرة الرسول (ﷺ). فقد كانت شبه الجزيرة قُبيل البعثة النبوية الشريفة تعاني من التدهور والانحطاط، وكانت قبيلة قريش التي ينتسب إليها الرسول (ﷺ)، تتميز بنفوذها السياسي والاقتصادي، فالواقع القبلي له علاقة مباشرة بعبادة الأصنام وقد كانت متوارثة، فالصنم هو رمز القبيلة، والممثل لوحدة أفرادها، لذا عبده الأبناء أخذاً من الآباء، وكان أي خرق في عبادة الصنم إنما هو خرق على إرادة القبيلة ومقدساتها[13]. وبالرغم من ولادة النبي (ﷺ) في حضن الوثنية، إلا أنه أظهر انزعاجاً واضحاً منها، واخلاصاً ونية غير معتادة إلى ان أطلق عليه الصادق الأمين.

فمرجعيات البيئة النبوية تكاد أن تكون أرض خصبة فالقراءة الاستشراقية أثبتت أن الرسول (ﷺ) تميز بصفات إنسانية[14] عظيمة فقبيلة قريش هي المرجع والمهيمن الثقافي في المجتمع آنذاك.

فبنية النص الاستشراقي تنبئ برفض النبوة رفضاً تاماً عن طريق التشكيك أو نسبة صفات تلمح إلى الطعن بالنبوة، فقيود التبعية الفكرية هي التي دفعت معظم المستشرقين إلى دراسة ظاهرة النبوة من الصفات الإنسانية والأحوال البشرية، لأنهم في الأصل قد "ذهبوا في وصفهم للإسلام إلى اعتماد منطق البحث عن الأشباه والنظائر وردها إلى أصول مؤثرة متواترة"[15].

لذا فالألماني (هِلز) سوغ حرص الرسول (ﷺ) على مسألة تدوين[*] (سيأتي بيانه فيما بعد) القرآن الكريم بقوله: "لقد أملى النبي محمد ما أوحي أليه على المسلمين السبب وراء ذلك هو أن يترك بعده كتابه مثلما فعل اليهود والمسيح"[16] وهذا يفترض نسقياً بأن السابق هو اللاحق بالإتباع والتأثر والذي يؤكد هذه الفكر المستشرق الألماني (نولدكة) في كتابه (تاريخ القرآن). حيث ناقش حقيقة الوحي التي كانت موضع جدال بين كل المستشرقين وتراوحت بين الرفض المطلق أو الاعتراف الشكلي من دون المضمون.

وقد وصفه (نولدكه) على "أن كلمة وحي عند المسلمين لا تشير فقط إلى القرآن، وإنما تشير إلى كل إلهام للنبي، والى كل أمر إلهي حتى لو لم تقدم كلماته أبداً على أنها قرآن... وإن معظم أنواع الوحي التي فصلت من قبل لا تقتصر على الوحي القرآني"[17].

ان عملية استجلاء الخلفيات الثقافية لهذه النصوص والتنقيب فيها يكشف ان هناك محورين دارت حولها الدراسات الاستشراقية وهما: مسألة الوحي والقرآن الكريم في محاولة لتأكيد هذين المحورين وثم دحضهما لان عملية النفي المطلق باتت غير مقنعة وتحدث تنافراً جلياً بينها وبين النصوص المقدسة قال تعالى:﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾[18] فهنا اعتراف واضح ببشرية النبي (ﷺ) واعتراف آخر بالوحي وثالث بوحدانية الله.

فلابد من إجراء مقارنة بين النص المقدس والنص الاستشراقي لذا فقد أثر مستشرقي العصور الحديثة إلى إثبات الحقائق المتواترة ثم زعزعة ثبوتية المعنى في منظمة النص، لتحويل مسار السلطة الدلالية من الإيمان بالرسول محمد (ﷺ) بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين إلى تبعية هذه الشخصية إلى من سبقوه من الأنبياء والرسل من زعزعة المعنى وخلق التناقضات داخل النصوص.

ان عملية الكشف عن ما ورائية لغة النصوص يسهم في إعادة قراءة لها من تموضع البنى في انساق تميل إلى مقولات متعددة لا نهائية فمحمد (ﷺ) يوحى له وهذا الوحي قد يكون ناتج على أنه "نوع من أنواع المرض النفسي، ومرة أخرى انه ليس سوى صوت داخلي للنبي ظنه وحياً قادماً له من الله"[19].

فهذه الآراء تسمح بتعدد دلالي خطير، يتضح في نصوص أُخر، لأن الحاضنة الثقافية والمعرفية للمستشرقين هي التي حددت مسار السيرة النبوية.

لذا فأن الاستشراق كمؤسسة تتعامل مع الشرق على أساس مفهوم (المعرفة السلطة)[20] أي أنها انطلقت من دراسة الآثار العربية والإسلامية، واستطاعت ان تنقل علوم الشرق إلى الغرب، للحيلولة إلى ضرب الإسلام من خلال فهم الجوانب الايجابية والسلبية التي ظهر فيها الدين الإسلامي برسوله الكريم محمد(ﷺ) ومحاولة إثارة الشك بنبوته بتثبيت نفسها دينياً ومن ثم سياسياً وعسكرياً لغرض هيمنة سلطوية لإخضاع الشرق برمته لسطوة الغرب ذي الدين (المركز) والآخر الإسلامي (الهامش).

ثالثاً: النسق في النص الاستشراقي والقرآن الكريم

لا شك أن أهداف المستشرقين كانت مختلفة في دراسة سيرة الرسول محمد (ﷺ)، متتبعين الأحاديث والأخبار والروايات الضعيفة والموضوعة واعتمدوها نصوصاً صحيحة بنو عليها آرائهم ومطاعنهم.

إن تشعب الارتباطات الفكرية والمعرفية في المنظومة الثقافي شكلت بؤر أساسية انطلقت منها أغلب مقاربات الطرح الاستشراقي فكان القرآن الكريم المفصل الأساس الذي دارت حوله الشكوك لمحاولة زعزعة المعايير المستقرة لدى المسلمين والعمل على تشتتها في غياهب اللعب الدلالي لأنهم وجدوا أن النبرة الخطابية للنص القرآني تحتفظ بلونها الشعري الكامل، أما الآيات القصار فإنما تعكس الحركة الشغوفة التي تتقطع مراراً بسبب تعاليم بسيطة وهادئة، لكنها زاخرة بالقوة[21].

هذا النص يجمع صنفاً من المفاهيم النسقية غير القابلة للاختزال بإسناد الخطاب القرآني إلى الشعرية بوصف العرب امة شعر فليس بالغريب ان تؤسس وتنمذج نص على لسان أحد أبناؤها وهو الرسول محمد(ﷺ).

فالذهنية الاستشراقية تتوسل بالثقافة العربية المتواترة كي تشتت المركزية الإسلامية عن طريق استغلال الفجوات والتناقضات والاستطرادات داخل الثقافة العربية كي تقوم ببناء انساق جديدة تخضعها لآلياتها الثقافية.

وقد عمد (نولدكه) إلى عقد مقارنة بين أسلوب الرسول محمد (ﷺ) والكهان الوثنيين في احتفالاتهم الدينية[22]. لذا فعملية زعزعة الثقة في نبوة محمد (ﷺ) لابد لها من عملية أكبر وهي اللعب بالدوال وهذه تتطلب أيجاد أنموذج يقف أمامه وثم مقارنته ببنيات أسلوبية مشابهة ظاهرياً لخلق تجاذبات تسهم في إنتاج معاني جديدة.

فعملية استغلال جزئيات محايثة للنص القرآني جعلت من المستشرقين يقومون بعمليتي الهدم والبناء أي هدم الحقائق الإسلامية وبناء حقائق كهنوتية مثلما فعل (بلاشير) إذ انه يرى أن "استعمال القوافي المنظومة والمسجعة في هذا الأسلوب قد جعله ينتمي إلى أسلوب العرافة التي كان ينطق بها الكهان"[23] ولتأكيد هذه الفكرة فأن (نولدكة) يؤكد على أن المرحلة الأولى من حياة الرسول (ص) في مكة كانت آلية الخطاب فيه لا تستند إلى الدليل والبرهان، وإنما الاكتفاء بالعرض التخيلي المؤثر[24] لأنها –على حد زعمه– كانت تؤكد على "دعوة الناس إلى الإيمان بالإله الواحد الحق"[25].

إن المرحلة المكية في المنظور الاستشراقي كان الحجر الأساس لتأسيس الدعوة الإسلامية ونشرها، بوصف المجتمع المكي آنئذ كان مجتمعاً وثنياً فلم يكن يهودياً ولا نصرانياً وإنما كانت عبادة الأصنام هي المركز الديني الذي يوجه أهل مكة وهو مركز هش لأنه يتميز بسطحيته وعزلته فهم لم يعرفوا نبي ولا كتاب منزل. لذا فان عملية التأثير تكون أكبر خاصة وأن المعاني التي جاء بها النص القرآني جميعها معانٍ تستميل الآخر وتؤثر عليه ومنها المساواة فلا فرق بين الناس الا بالتقوى قال تعالى:﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ﴾[26]، وتمخض هذا على عقد مقارنة نصية بين النص القرآني والنص اليهودي والمسيحي وهذا ما فعله (جولد تسهير) الذي خرج بنتيجة أنه من أكثر الكتب التشريعية المتداولة بالرغم مما فيه من "الاضطراب وعدم الثبات"[27] فهذا الاضطراب المزعوم جعل من "أفكاره لا تتطور بهدوء إلا نادراً، بل هي تقفز من موضوع إلى آخر"[28] فعملية خلخلة ثبات النص القرآني بوصفه منتجاً دينياً ومعجزة الرسول (ﷺ) ودليل

إثبات على نبوته إنما هو هدم للمركز الذي حاولت الرسالة المحمدية التأسيس لها وبناء الهامش من الأديان الأخرى التي كانت سابقة له، والطعن بالإعجاز القرآني والرد على مزاعمهم هو أن الاضطراب وعدم الثبات إنما هو ناتج عن التشكيل الموسيقي الذي كان سببه التشكل الدلالي للنص القرآني خاصة العرب هي أمة بلاغة بلا شك والنص القرآني حير العرب ببلاغته وما هذا الاضطراب الظاهر إلا بسبب البنية النحوية للنص القرآني القائمة على النبر والتنغيم وإن فكرة مشابهته للنصوص التي سبقته إنما تنفي عنه صفة الإعجاز على حد زعمهم، فالإعجاز إنما تَحصّل من تفرده الأسلوبي والنسيجي وما "إنفتاحه على الفنون المختلفة من جهة، وعدم انتماءه لأي جنس منها من جهة أخرى"[29]. إلا دليل على مصداقية البعثة النبوية بوصفها تعيد تشكيل أفق توقعات قارئ النص القرآني لتسهيل فهمه على وفق المعايير الثقافية والبلاغية لانتاجة وهذا ما أغفلته الدراسات الاستشراقية التي تعاملت مع النص القرآني بصورة مباشرة من دون الولوج في البيئة الثقافية التي أنتجته.

وثمة مشكل نسقي واجه الاستشراق إلا وهو موضوع التدوين القرآني فيرفض (نولدكة) الرؤية التوقيفية لترتيب السور والآيات بقوله إن "الرواية القائلة: إن محمداً حدد لكل آية، فوراً بعد نزولها مكانها المحدد فلا تتمتع بسند تاريخي"[30] ويؤكد على أن الرواية التي تقول أن الترتيب الحالي للقرآن ما هو إلا ترتيب سماوي إنما هو اعتقاد خرافي لا صحة له[31].

أن عملية ضرب السند التاريخي للآيات والسور وترتيب القرآن الكريم ما هي إلا محاولة زعزعة الثابت والمتواتر ومحاولة تشتيته في فوضى التشكيك إلا أن عملية فحص النصوص الاستشراقية يحول مسار السلطة المفاهيمية من النص الاستشراقي إلى النص القرآني ومنه إلى إثبات نبوة الرسول (ﷺ) فالنص القرآني يملك القدرة التواصلية التي نشّطت بدورها فعل التواصل باكتشاف الآخر (الاستشراقي) قدرة القرآن الترتيبية والمسندة تاريخياً بشكل غير محكم إنما هدم نسقي لأجل البناء فالقرآن الكريم مارس دوراً معرفياً في إمكانية تحقق وجودي لفعل الانتشار (ألتواصل) وتحقيق الحوار بين (الانا) الإسلام برسوله الكريم (ﷺ) وقرآنه والآخر (المستشرقين). فقد حقق القرآن المعجزة الربانية بواسطة فلسفة الذات المنطوية على ذاتها (المسلمين) إلى فلسفة الحوار والمشاركة والتداول (الناس كافة) قال تعالى: ﴿هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[32] فقد حقق القرآن مهمته الابلاغية التواصلية وهناك إدراك مسبق من الله سبحانه ان الآخر في جدال ومستمر قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلاً﴾[33] فشكل القرآن الكريم إعجازه بإيديولوجية الغرب فقد حاول الاستشراق الاستفادة من إمكانيات القرآن والسيرة النبوية في تحديد أطر نسقية مخالفة ومغايرة للنسق الديني ومحاولة هدمه ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[34] وهذا ما أكده بلا شير في رؤيته للتنظيم القرآني "هذا التنظيم في مصحف عثمان، كانت نتيجته أحداث خلل لا دواء في الترتيب التاريخي للنصوص التي نزلت على محمد"[35] فما هذه النظرة إلا نتيجة لتكريس نزعة الاستعلاء العنصري ضد الإسلام والمسلمين في محاولة تجريد الإسلام من مضمونه (القرآني) عن طريق اختلاق مفاهيم زائفة لتسويغ ضرب الإسلام والمسلمين.

وقد يعزوا هذا الافتراء إلى سوء فهم الآيات والسور القرآنية لأنهم وجدوا من ترجمة القرآن الكريم خير وسيلة لمقارعة الإسلام. وإذا ما اتفقنا ان القرآن الكريم إعجازه بلغته وببلاغته التي هي لغة وبلاغة أمة العرب فأن عملية الترجمة بحد ذاته إنما هي قتل لروح البلاغة. لما يحدث اثناء الترجمة من أخطاء في فهم لمعنى لفظة وما يقابلها من كلمات وتعبيرات ومصطلحات في النص القرآني. ومن الملاحظ أن النص الاستشراقي ينظر إلى النص القرآني نظرة أختلافية لخلق صياغات مستقبلية فضلاً عن الآنية للثقافة الإسلامية في منظور غربي فيحاول عزل النص القرآني عن الثقافة التي أنتجته والأخيرة بدورها تنشأ على وفق تبدلات زمانية/ مكانية. (المدة المكية/المدة المدنية) ولا بد من ان يراعى في دراسات الخطاب القرآني هذه التبدلات والمتغيرات لأنه خطاب موجه إلى البشر كافة.

فمحاولة المستشرقين بتشكيل بؤرة (المسيحية واليهودية) لتنطلق منها مقاربات أخرى (الإسلام) إنما هو تأكيد لفكرة (الحضور/الغياب) حضور الأصل المتمثل بالدين المسيحي واليهودي بوصفه الأسبق وغياب الإسلام بوصفه اللاحق والمقلد للسابق مستثمرين بنية النص القرآني الداخلية والخارجية في عملية الإثبات هذه فالنبرة الخطابية للقرآن الكريم المحتفظة بلونها الشعري وردها إلى أصول كهنوتية، ومقارنة النص القرآني بالنص المسيحي واليهودي، وموضوع التدوين القرآني وإشكالية ترتيب السور والآيات وتنظيمها ما هي إلا عملية استجماع للمفاهيم غير القابلة للاختزال ومحاولة خلق متعارضات مفاهيمية لاختراق منظومة النص القرآني لإدخال الآخر في متاهة نصية إلا ان الحيرة النسقية التي ألمت بالنص الاستشراقي ما هي إلا أثبات يحسب لصالح النص القرآني قال تعالى:﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[36].

وقال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُّبِينٍ﴾[37] فالبيان هو المهمة الأولى للنص القرآني والتي لم يتطرق إليها الاستشراق لأنها ستحول المفاهيم النسقية للاستشراق لصالح النص القرآني فلا وجود لكلمة (بيان) ما يقابلها في اللغات الأخرى في حين وردت أكثر من 250 مرة في القرآن الكريم[38]. فالقراءة الاستشراقية تكشف عن استراتيجية الفكر الغربي الذي ألزم نفسه بالإطار التاريخي في دراسة التوراة والإنجيل مع استثمار المذاهب العقلية التي وحدت ما بين الفكر والتأريخ على إنهما التجسيد المطلق للفهم[39]. وحاولت فرض أنساقها العقل/ التاريخ. ووأد جميع المضامين الأخرى التي كانت من مهمات توصيل الرسالة السماوية ومنها الظهور والوضوح. التي تخلق حالة من التوافق والتواصل الدلالي، التي تكمن فاعليتها باستمراريتها وإمكانيتها التطبيقية في الحياة عامة.

الخاتمة

1- يرنو البحث إلى بيان تمثلات النسق عبر منظومة الاستشراق وأكثر الموضوعات تداولاً في هذه المنظومة هو سيرة الرسول محمد (ﷺ) بوصفه حامل الرسالة الإسلامية والمبلغ عنها.
2- حاول البحث رصد الأنساق الخفية لنصوص أشهر المستشرقين ومحاولة التنقيب عن دوافع ومسوغات هذه النصوص.
3- كشف البحث عن الاستعمال المشوه للسيرة النبوية العطرة وإتهامها باتهامات شتى وصولاً لغاية وهي تبعية الرسالة المحمدية للرسالات والأديان السابقة لها.

4- إن تناول السيرة النبوية من نظرة استشراقية تملي على البحث استجلاء الخلفيات الثقافية لهذه النصوص والتنقيب فيها وقد دارت في محورين هما: مسألة الوحي والقرآن الكريم.
5- ذهب الاستشراق إلى اعتماد منطق البحث عن الأشباه والنظائر في دراسة السيرة النبوية الشريفة لإعطاء الارجحية للسابق عن اللاحق.
6- استثمار أسلوب (المعرفة/السلطة) في دراسة الإسلام ومحاولة ضربه من طريق التشكيك بنبوة الرسول محمد (ﷺ).
7- كانت الغاية الأساسية من ذلك هو القفز على الهامش وجعل السابق (اليهودية والمسيحية) هو المركز وما دونها فهو هامش لا قيمة له.
8- يوصف القرآن الكريم على أنه المفصل الأساس الذي دارت حوله الشكوك لزعزعة المعايير المستقرة لدى المسلمين.
9- استثمار نظرية (الأشباه والنظائر) مرة أخرى مع القرآن الكريم بمقارنته بنتاجات الديانات السابقة والنتاج الأدبي للعربي.
10- ان خلخلة ثبات النص القرآني بوصفه منتجاً دينياً ومعجزه الرسول (ﷺ) ودليل أثبات على نبوته، إنما هو هدم للمركز الذي حاولت الرسالة المحمدية التأسيس لها. وبناء الهامش من الأديان الأخرى التي كانت سابقة له.
11- أثر المستشرقون في العصور الحديثة إلى إثبات الحقائق المتوافرة ثم زعزعة ثبوتية معانيها محاولة معهم لتحويل مسار السلطة الدلالية من الإيمان بالرسول محمد (ﷺ) بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين إلى تبعية هذه الشخصية إلى من سبقوه من الأنبياء والرسل بخلق تناقضات نصية.
12- تعامل الاستشراق مع الشرق على أساس مفهوم (المعرفة/السلطة) فانطلقت من دراسة الآثار العربية الإسلامية محاولة منها لضرب الشرق المسلم.
13- عقد مقارنات أسلوبية بين أسلوب القرآن الكريم والكهنونية الوثنية لزعزعة الثقة بنبوة محمد (ﷺ) لذا فان هذه العملية قادت إلى القيام بعمليتي (الهدم والبناء) هدم الحقائق الإسلامية وبناء حقائق كهنونية وثنية.
14- اتهام النص القرآني بالاضطراب وعدم الثبات انما هو تشكيل دلالي يحسب للنص القرآني فقد حير العرب ببلاغته المتقنة وما هذا الاضطراب المزعوم الا نتيجة خصوصية اللغة العربية والنص القراني تحديداً القائمة على النبر والتنغيم.
15- إن نظرة المستشرقين لموضوع التدوين القرآني على أنه لا يتمتع ببعد تأريخي وانعدام صحة الترتيب السماوي له. ما هو الا محاولة زعزعة الثابت والمتواتر ومحاولة تهميشه في فوضى التشكيك.
16- النص القرآني يملك القدرة التواصلية من باكتشاف الآخر (المستشرقين) بشكل غير محكم فقد حقق قدرته التواصلية وهي معجزة ربانية بتحويل الذات من ذاتيتها إلى الحوارية والمشاركة.
17- محاولة تكريس نزعة الاستعلاء العنصري ضد الإسلام والمسلمين في محاولة تجريد الإسلام من مضمونه (القرآني) عن طريق اختلاق مفاهيم زائفة.
18- قد تكون أسباب هذه الافتراءات سوء فهم للسور والآيات القرآنية لأنهم وجدوا من ترجمة القرآن الكريم خير وسيلة لمقارعة الإسلام.

19-آلت الأسباب السابقة إلى محاولة عزل القرآن الكريم عن الثقافة التي انتجته التي نشأت على وفق تبدلات زمانية/مكانية أي (المدة المكية/المدة المدنية).

20-محاولة المستشرفين تشكيل بؤرة (اليهودية، المسيحية) لتنطلق منها مقاربات أخرى متمثلة (بالإسلام، انما هي تأكيد لفكرة (الحضور/ الغياب) حضور الأصل المتمثل بالدين (اليهودي والمسيحي) وغياب الإسلام بوصفه لاحقاً.

21-توصلنا المتاهات التي بناها النص الاستشراقي إلى نتيجة ان الغرب الاستشراقي ألزم نفسه بسياقات تاريخية في قراءة القرآن الكريم وبالنتيجة وأد جميع المضامين التواصلية التي من اجلها تنزل القرآن على لسان نبيه الكريم.

الهوامش

(1) ينظر: لسان العرب، ابن منظور (ت711ه)، صححه: أمين عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، د.ت، مادة (س،ق). والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، إيران، ط5، مادة: (ش ر ق).

(2) دليل الناقد الادبي، إضاءة لاكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، د.ميجان الرويلي وسعد البازعي، المركز الثقافي العربي، ط5، 2007: 33.

(3) الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للاسلام، د.محمد عبدالله الشرقاوي، دار البشير، مصر، ط1، 2015: 27.

(4) الاستشراق ومناهجه في الدراسات الاسلامية، د. سعدون الساموك، دار المنهاج للنشر، عمان، الاردن، ط1، 2010: 13.

(5) الاستشراق من منظور فلسفي عربي معاصر، د. عبد الامير الاسم، مجلة الاستشراق، ع1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1987: 14. وينظر: مفهوم التاريخ، عبدالله العروي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط4، 2005: 217.

(6) ينظر: دليل الناقد الادبي: 21.

(7) ينظر: الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للاسلام، د. محمد عبد الله الشرقاوي، دار البشير، مصر، 1437-2016: 25.

(8) ينظر: مسألة الهوية – العروبة والاسلام، د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط3، 2006: 128.

(9) ينظر: الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للاسلام: 162.

(10) الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله (ﷺ)، انيس منصور، المكتب المصري الحديث: 13.

(11) الكلام للمستشرق (Gibb) الذي الف كتاباً كاملاً يسميه (Muhammadanisim) ينظر: الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للاسلام: 160.

(12) الكلام للعالم الفرنسي المسلم (إثيات دينيه)، ينظر: السنة النبوية في مواجة شبهات الاستشراق، انور الجندي، دار الانصار، القاهرة، مصر، 10.

(13) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، د. جواد علي، جامعة بغداد، ط2، 6/15-16.

(14) لايضاح مفهوم الانسانية ينظر: الاستشراق عند إدوارد سعيد -رؤية اصلاحية-، د. تركي بن خالد الظفيري، مركز التأصيل، ط2، 2015: 222.

(15) العرب والاسلام في مرايا الاستشراق، بنسالم حميين، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2011: 75.

(*) بالرغم من الاختلاف على مسألة التدوين هل في زمن الرسول (ﷺ) ام كانت متاخرة.

(16) ينظر: Der Islam, P.161، Hales نقلاً عن: القرآن في دراسات المستشرفين، دراسة في تاريخ القران: نزوله، وتدوينه وترجمته، وتأثيره، د. مشتاق بشير الغزالي، دار النقائس، دمشق، سوريا، ط1، 2008: 124.

(17) تاريخ القرآن، نولدكة، تعديل، فريد ريش شفالي، نقله الى العربية وحققه: جورج تامر، دار جورج المز، نيويورك، بيروت، ط1، 2004: 40/1.

(18) الكهف/ 110.

(19) الوحي الى محمد بين الانكار والتفسير النفسي، كتاب تاريخ القرآن للمستشرق الالماني بنود دورنو لدكه، ترجمة وقراءة نقدية، رضا محمد الدقيقي، دار النور: 87/1.

(20) الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، ادورد سعيد، تر: د. محمد عناني، دار بنجوين، القاهرة، ط1، 2006: 85.

(21) ينظر: تاريخ القرآن، نولدكة: 1/ 68-69.

(22) ينظر: تاريخ القران، نولدكة:: 69/1.

(23) القرآن: نزوله، تدوينه، ترجمته، وتأثيره، بلاشير، تر: رضا سعادة، تح: محمد علي الزغبي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1974: 101.

(24) ينظر: تاريخ القرآن، نولدكة: 65/1.

(25) م.ن: 65/1.

(26) التوبة/ 108.

(27) مذاهب التفسير الاسلامي، بولد تسهير، تر: عبد العليم النجار، مكتبة الخانجي، مصر، 1955: 45.

(28) تاريخ القران، نولدكه: 59/1.

(29) التوازي في القرآن الكريم، د.وداد حكاوي محمود، دار مجدلاوي للنشر، عمان، ط1، 2013-2014: 221.

(30) تاريخ القران، نولدكة: 42/1.

(31) ينظر: م.ن: 42/1.

(32) إبراهيم/ 52.

(33) الكهف/ 54.

(34) محمد/ 24.

(35) القرآن: نزوله، تدوينه وتأثيره: 38.

(36) النحل/ 103.

(37) الشعراء/ 195.

(38) ينظر: بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط10، 2010: 16.

(39) ينظر: العقل في التاريخ، هيجل، تر: د. إمام عبد الفتاح إمام، مدار التنوير، بيروت، ط2، 2005: 18/1.

CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

المصادر

القرآن الكريم

1. الاستشراق – المفاهيم الغربية للشرق–، ادوارد سعيد، تر: د.محمد عنائي، دار بنجوين، القاهرة، ط1، 2006.
2. الاستشراق عند ادوارد سعيد –رؤية إسلامية–، د.تركي بن خالد الظفيري، مركز التأصيل، ط2، 2015.
3. الاستشراق في منظور فلسفي عربي معاصر، د. عبد الأمير الاعسم، مجلة الاستشراق،ع1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1987.
4. الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، د.محمد عبد الله الشرقاوي، دار الدار البشير، مصر، ط1، 2015.
5. الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، د.سعدون الساحوك، دار النجاح للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2010.
6. بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، د.محمد غابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط10، 2010.
7. تاريخ القرآن، نولدكة، تعديل: فريد ريش شفالي، نقلة إلى الوبية وحققه: جورج تامر، جورج تامر، دار جورج النمر، نيويورك، بيروت، ط1، 2004.
8. التوازي في القرآن الكريم، د. وداد مكاوي حمود، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2013–2014.
9. الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله (ﷺ)، انيس منصور، المكتب المصري الحديث، د.ط، د.ت.
10. دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، د. ميجان الرويلي وسعد البازعي، المركز الثقافي العربي، ط5، 2007.
11. السنة النبوية في مواجهة شبهات الاستشراق، أنور الجندي، دار الأنصار، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.
12. العرب والإسلام في مرايا الاستشراق، بنسالم حميّس، دار الشوق، القاهرة، مصر، ط1، 2011.
13. العقل في التاريخ، هيجل، تر: د. إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط2، 2005.
14. القرآن في دراسات المستشرقين، دراسة في تاريخ القران: نزوله، تدوينه، ترجمته، وتأثيره، د. مشتاق بشير الغزالي، دار النفائس، دمشق، سوريا، ط1، 2008.

15. القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثير، بلا شير، تر: رضا سعادة، تح: محمد علي الزغبي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1974.
16. لسان العرب، ابن منظور (ت711ه)، صححه: أمين عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، د.ت.
17. مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسهير، تر: عبد العليم النجار، مكتبة الخانجي، مصر، 1955.
18. مسألة الهوية، العروبة والإسلام والغرب، د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط3، 2006.
19. المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، ايران، ط5.
20. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د.جواد علي، جامعة بغداد، ط2، 1993.
21. مفهوم التاريخ، عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط4، 2005.
22. الوصي إلى محمد بين الإنكار والتفسير النفسي، كتاب تاريخ القرآن للمستشرق الألماني بتودور نولدكة ترجمة وقراءة نقدية، رضا محمد الدقيقي، دار النور، د.ط، د.ت.